

مخططات تنظيم داعش الإرهابي في شمال إفريقيا: الفرص، التهديدات والتحديات

الأستاذ: بلعربي علي

أستاذ مساعد-أ-

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم-

الملخص:

تتناول هذه المداخلة التهديدات الأمنية التي بات يشكلها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على منطقة شمال إفريقيا، خاصة بعد ثورات الربيع العربي التي شهدتها المنطقة بداية سنة 2011.

تحاول هذه المداخلة الإجابة عن إشكالية محورية مفادها: ما هي أهم التحديات الأمنية التي سوف تتجر عن مخططات تنظيم الدولة الإسلامية في منطقة شمال إفريقيا؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، تحاول هذه المداخلة التحقق من الفرضية التالية: مخططات تنظيم داعش في شمال إفريقيا تستهدف زعزعة الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة بما يخدم تواجده فيها.

توصلت هذه المداخلة إلى نتيجة مفادها أن تنظيم الدولة الإسلامية فشل في تنفيذ مخططاته في منطقة شمال إفريقيا، إلا أنه ما زال يشكل مصدراً للقلق، وأن محاربته تقتضي حلولاً وقائية وشاملة جنباً إلى جنب مع الحلول الأمنية والعسكرية.

الكلمات المفتاحية: شمال إفريقيا، ثورات الربيع العربي، تنظيم داعش، التحديات الأمنية، التعاون.

Abstract

This intervention addresses the security threats that the Islamic State Organization has become in the North African region, especially after the Arab Spring revolutions in the region in early 2011.

This intervention attempts to answer the main problem: What are the most important security challenges that will be dragged away from the schemes of organizing the Islamic state in North Africa?

In order to answer this problem, this intervention attempts to verify the following hypothesis: Schemes of a sympathetic organization in North Africa aimed at destabilizing the political and security situation in the region in order to serve its presence there.

This intervention concluded that the organization of the Islamic state failed to implement its plans in the North Africa region, but it remains a source of concern and that fighting it requires preventive and comprehensive solutions along with security and military solutions.

Keywords: North Africa, Arab Spring Revolutions, Struggle Organization, Security Challenges, Cooperation.

مقدمة

على الرغم من الانتكاسات التي تعرض لها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في كل من العراق وسوريا، إلا أنّ هذا التنظيم الإرهابي ما زال يشكل تهديداً أمنياً حقيقياً على منطقة شمال إفريقيا، حيث يعود ظهور هذا التنظيم مع بداية اللااستقرار السياسي والأمني التي شهدتها المنطقة في إطار ما يسمى بثورات الربيع العربي بدايات سنة 2011، وازدادت مخاوف الدول المغاربية من هذا التنظيم أوائل سنة 2015، السنة التي شهدت استيلاء داعش على مدينة "سرت" الليبية، مما أدى إلى اعتبار شمال إفريقيا كمعقل جديد لهذا التنظيم الإرهابي، وعلى الرغم من أن تنظيم داعش في شمال إفريقيا لا يزال يقتصر وجوده في الغالب على دولة ليبيا، إلا أن وجوده في المنطقة يطرح العديد من التحديات الأمنية عليها.

وهذا ما ستحاول هذه المداخلة التطرق إليه من خلال الإشكالية التالية:

ما هي أهم التحديات الأمنية التي سوف تنجر عن مخططات تنظيم الدولة الإسلامية في منطقة شمال إفريقيا؟

للإجابة عن هذه الإشكالية تحاول هذه المداخلة التحقق من الفرضيات التالية:

- تواجد تنظيم الدولة الإسلامية في منطقة شمال إفريقيا يعود إلى اللااستقرار السياسي الذي شهدته دول المنطقة بداية سنة 2011.

- مخططات تنظيم داعش في شمال إفريقيا تستهدف زعزعة الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة بما يخدم تواجدته فيها .

- مواجهة التحديات الأمنية لداعش تقتضي تعاوناً مغاربياً حقيقياً وعلى كل المستويات.

ستكون الإجابة عن الإشكالية المطروحة والفرضيات المتعلقة بها وفق الخطة المنهجية التالية:

المحور الأول: تنظيم داعش: النشأة، الأيديولوجية والأهداف

المحور الثاني: عوامل بروز تنظيم داعش في منطقة شمال إفريقيا

المحور الثالث: التهديدات الأمنية لتنظيم داعش على منطقة شمال إفريقيا

المحور الرابع: سبل مواجهة تنظيم داعش في منطقة شمال إفريقيا

المحور الأول: تنظيم داعش: النشأة، الأيديولوجية والأهداف.

أ- نشأة وتطور تنظيم الدولة الإسلامية(داعش):

تعود قصة داعش إلى أبو مصعب الزرقاوي الذي سجن في الأردن لمدة 5 سنوات، بعد أن حكم عليه بالسجن لمدة 15 عاما لحيازة السلاح والانتماء إلى البيت الجهادي، ثم انتقل الزرقاوي إلى أفغانستان واتصل بالقاعدة حيث تمكن من تأسيس الجماعة الجهادية جند الشام، التي سميت لاحقا "جماعة التوحيد والجهاد"، وكان أحد أنشطتها الرئيسية تفجير بعض المواقع السياحية في الأردن في عام 1999. وبعد وقت قصير، وبعد حوادث الانفجارات، انتقل الزرقاوي ومقاتليه إلى شمال العراق، حيث أسس الزرقاوي جماعة التوحيد والجهاد في منطقة السليمانية الكردية التي استهدفتها القوات الأمريكية خلال الغزو الأمريكي للعراق عام 2003، وكان لهذه المجموعة ثلاثة أهداف رئيسية هي ضرب الشيعة والمجتمع الدولي والأردن؛ ومن ثم تم تنفيذ أنشطتهم الإرهابية على هذا النحو، ففي سبتمبر 2004، أعلن الزرقاوي ولاءه للقاعدة، حيث كانت الجماعة تسمى "القاعدة" في بلاد الرافدين (IQA)، وبعد وفاة "أبو بكر الزرقاوي" سنة 2006، عينت القاعدة زعيما جديدا للتنظيم وهو "أبو أيوب المصري".⁽¹⁾

وفي نفس السنة، تحول اسم التنظيم إلى "مجلس شوري المجاهدين" (MUM) تحت قيادة "أبو عمر البغدادي"، وتحولت تسمية التنظيم في وقت لاحق من سنة 2006 إلى "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق" (ISI) الذي تحولت قيادته سنة 2010 إلى "أبو بكر البغدادي" وذلك بعد وفاة "أبو عمر البغدادي"، وحافظ التنظيم على هذه التسمية إلى غاية 2012، حيث تغيرت تسميته إلى "جبهة النصر" تحت قيادة "أبو محمد الجولاني"⁽²⁾، وفي 10 أبريل 2013، أعلن أبو بكر البغدادي اندماج جبهة النصر لتشكيل الدولة الإسلامية التي توسعت إلى سوريا، وبالتالي، تغيرت التسمية وأصبحت الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (ISIL)، والمعروف باسم داعش، إلا أن أبو محمد الجولاني (زعيم جبهة النصر) نفى معرفته بالقرار وجدد تعهده بالولاء لزعيم القائد أيمن الظواهري، وهذا ما أدى إلى اندلاع الصراع بين التنظيمين داعش وجبهة النصر.⁽³⁾

وفي 2014 انقطعت العلاقة تماما بين تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا وبين تنظيم القاعدة، حيث أعلن أبو بكر البغدادي ميلاد تنظيم "الدولة الإسلامية"/"الخلافة الإسلامية"⁽⁴⁾ تديرها حكومة خاصة، لها اقتصادها الخاص وجيشها الخاص، كما أسس تنظيم الدولة محاكم، ومدارس، وحكومات محلية⁽⁵⁾.

ب- الأيديولوجية:

المرجعية الأيديولوجية لتنظيم الدولة الإسلامية هي الفكر السلفي الجهادي، ومن المهم هنا أن نذكر أنه بالنسبة لهم لا يوجد أي تمييز بين الدين والدولة، فجميع القرارات بالنسبة لهم تستند إلى تفسير متشدد للشريعة (الشريعة الإسلامية)، الذي يتم تنفيذها بوحشية في المناطق التي يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية.⁽⁶⁾ إذ يعتبر أصحاب السلفية الجهادية أنفسهم المسلمين الحقيقيين الوحيدين، ويستقي الدواعش أفكارهم من الباحث السوري الحنبلي "إبن تيمية" 1328 ومن أفكار "محمد ابن عبد الوهاب" 1792 في أواخر القرن الثامن عشر، ويشترك المفكران في كونهما يعتمدان الجهاد من أجل القضاء على الشرك وتأكيد التوحيد، كما أنهما يدعوان إلى تطهير الإسلام من الشيعة، وتجدر الإشارة، إلى أن تنظيم الدولة الإسلامية يمثل التوجه المتشدد داخل هذه المدرسة -السلفية الجهادية- وهو ما يميزه اليوم عن تنظيم القاعدة الذي يمثل التوجه الأقل تشدداً⁽⁷⁾ وهذا ما جعل هذا التنظيم تنظيماً متطرفاً بامتياز مقارنة بالتنظيمات الإرهابية الأخرى.

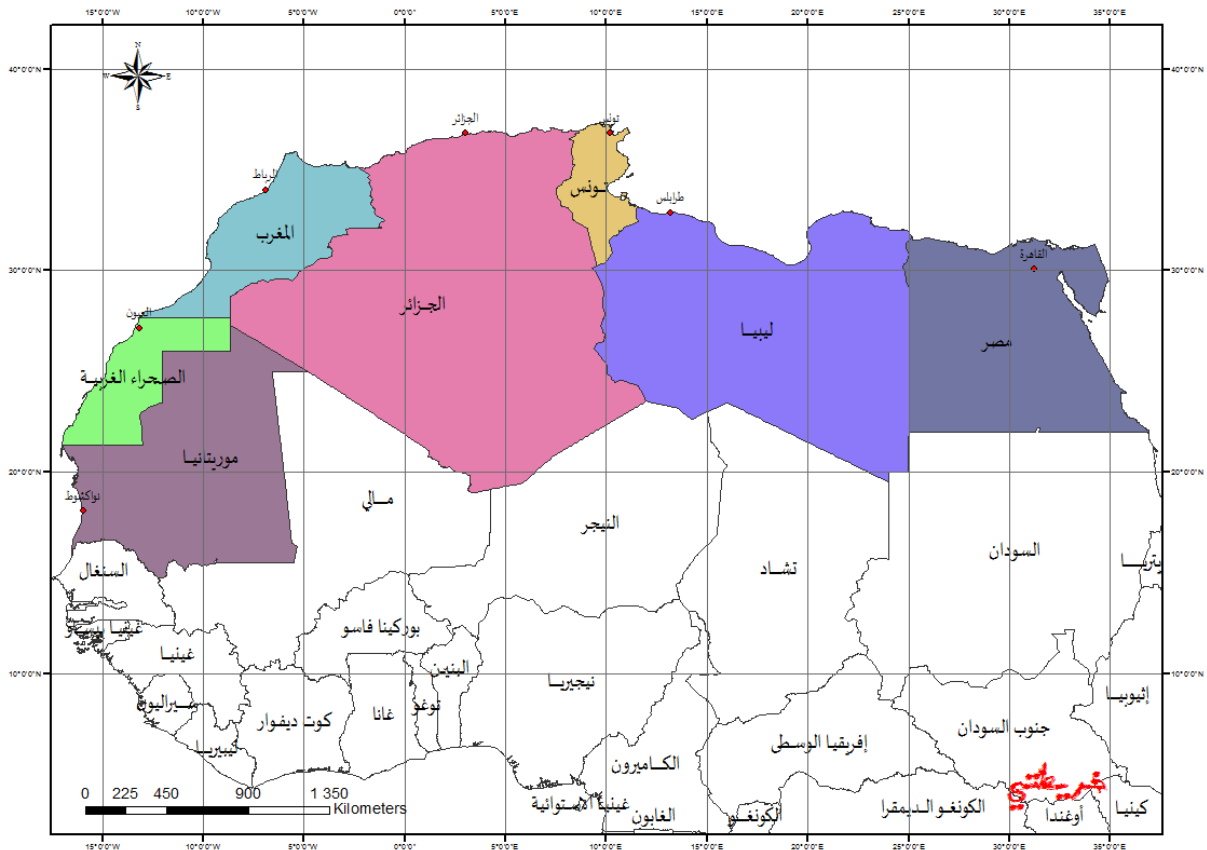
ج- الأهداف:

يكن الهدف الرئيسي لتنظيم الدولة الإسلامية في إقامة الخلافة الإسلامية، وبالتالي، فهو تنظيم يقوم على الوحدة الدينية بدلاً من الوحدة الوطنية⁽⁸⁾، وهذا الهدف كان قد أعلن عليه "أبو بكر البغدادي" زعيم التنظيم الذي حدد أراضي دولة الخلافة في شرق سوريا وغرب العراق وأن داعش يسعى لتوسيع الخلافة في جميع أنحاء سوريا والعراق، وأخيراً السيطرة عليها، وبعد ذلك، سيتم ضم الدول التي تنتمي إلى "سوريا الكبرى"، أي الأردن، ولبنان، والكيان الصهيوني والسلطة الفلسطينية، وبعدها بلدان أخرى في الشرق الأوسط وخارجها، ووفقاً لرؤية داعش فإن الخلافة الإسلامية ستشمل مساحات شاسعة من شمال أفريقيا وآسيا والقوقاز، وأجزاء من أوروبا كانت في السابق تحت حكم المسلمين، مثل إسبانيا والبلقان.⁽⁹⁾ وهذه الرؤية التوسعية تظهر الخطر الذي بات يشكله تنظيم الدولة الإسلامية على كل مناطق العالم وعلى وجه الخصوص منطقة شمال إفريقيا التي تشهد هي الأخرى انفلاتاً أمنياً بسبب الأزمة الليبية:

المحور الثاني: عوامل بروز تنظيم داعش في منطقة شمال إفريقيا.

قبل التطرق إلى أهم العوامل التي أدت إلى توسع تنظيم الدولة الإسلامية في شمال إفريقيا، تجدر الإشارة إلى أن هذه المداخلة تحدد المنطقة الجغرافيا لمنطقة شمال إفريقيا من جمهورية مصر العربية من الشرق إلى غاية دولة المغرب غربا، وبالتالي فالمنطقة تتشكل من خمس دول عربية وهي: مصر، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، كما هو موضح في الخريطة.

خريطة شمال إفريقيا



وبعد تحديد الحدود الجغرافيا لمنطقة شمال إفريقيا، نجد أن هناك الكثير من العوامل ساهمت أو ساعدت تنظيم الدولة الإسلامية في التوسع في منطقة شمال إفريقيا، فمنها ما يرتبط بالأهداف التوسعية لهذا التنظيم، وجزء آخر مرتبط بالضغوط التي مورست على هذا التنظيم في كل من العراق وسوريا، وهذا بعد الضربات المؤلمة التي تلقاها التنظيم من قوات التحالف الدولي التي استهدفت مناطق نفوذه في كلا الدولتين خاصة في مدينة الموصل العراقية التي طرد منها بشكل شبه نهائي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك عوامل أخرى مرتبطة بأهمية منطقة شمال إفريقيا ومرتبطة أيضا بالاستقرار السياسي والأمني الذي شهدته ولا زلت تشهده المنطقة بعد أحداث الربيع العربي، وهذا ما أدى إلى بيئة أمنية غير مستقرة استثمر فيها تنظيم الدولة الإسلامية لتعزيز تواجد في المنطقة.

وفي الفقرات التالية سنحاول شرح هذه العوامل بشكل من التفصيل خاصة تلك المتعلقة مباشرة بالمنطقة.

أولاً: العوامل المتعلقة بأهداف ووضعية تنظيم الدولة الإسلامية في كل من العراق وسوريا:

فيما يتعلق بأهداف التنظيم، فكنا قد تطرقنا إليها في المحور السابق، وبيننا الأهداف التوسعية لتنظيم الدولة الإسلامية الرامية إلى إقامة الخلافة الإسلامية التي تشمل حدودها منطقة شمال إفريقيا التي قسمت إلى ثلاث مقاطعات: درنة وسيناء ومقاطعة الجزائر، أما العامل الثاني المتعلق بوضعية التنظيم في كل من العراق وسوريا، فنجد أن تواجد التنظيم في منطقة شمال إفريقيا جاء اتساقا مع المشاكل المتزايدة التي تواجهه للحفاظ على أراضيها في سوريا والعراق⁽¹⁰⁾ ويمكن إرجاع تواجد تنظيم الدولة الإسلامية في شمال إفريقيا إلى عوامل أخرى، كتخفيف الضغط الممارس عليه في العراق وسوريا، وذلك عن طريق تحويل اهتمام العالم من منطقة الشرق الأوسط إلى منطقة شمال إفريقيا، كما يمكن إرجاع ذلك أيضا إلى رغبة التنظيم في ضمان استمراريته وذلك بالتحويل إلى مناطق أخرى وتجنيد مقاتلين آخرين أو بتحويل مقاتليه إليها لكي يحافظ على استعداديته القتالية.

ثانياً: عوامل متعلقة بأهمية منطقة شمال إفريقيا والظروف السياسية والأمنية التي تمر بها:

1- العوامل المتعلقة بأهمية منطقة شمال إفريقيا:

يعود تواجد تنظيم الدولة الإسلامية في شمال إفريقيا إلى سنة 2015، عندما أسس التنظيم معقل جديد له خارج العراق وسوريا، والذي كانت مدينة "سرت" الليبية حاضنة له، حيث عمل تنظيم "داعش" على الاستيلاء على البلاد بأكملها، وتحويل ليبيا إلى نقطة انطلاق للإرهاب وتخريب بقية دول شمال إفريقيا، وبلدان جنوب الصحراء وجنوب أوروبا⁽¹¹⁾، والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا ليبيا على وجه التحديد؟ والجواب كان في الوثيقة التي أصدرها تنظيم الدولة الإسلامية في يناير 2015 تحت عنوان "ليبيا البوابة الإستراتيجية للدولة الإسلامية" ومن خلال عنوان هذه الوثيقة تظهر أهمية ليبيا كمنفذ استراتيجي لداعش في منطقة شمال إفريقيا من حيث:

الجغرافيا، فليبيا تقع في وسط شمال إفريقيا، وهذا ما يوفر للتنظيم الإرهابي سهولة الوصول إلى المغرب العربي، مصر ودول جنوب الصحراء الكبرى، أضف إلى ذلك قربها من إيطاليا، وهذا ما يعطي التنظيم الفرص لتوجيه هجمات إرهابية على دول جنوب أوروبا. بالإضافة تنوع التضاريس، الصحراء، الجبال، بالإضافة إلى ساحلها الطويل، وهذا التنوع في التضاريس يخدم كثيرا الجماعات الإرهابية لتنفيذ مخططاتها الإجرامية.

اقتصاديا، فليبيا تقدم الكثير من الإجراءات الاقتصادية لتنظيم الدولة الإسلامية، فحقول النفط والغاز والمنشآت النفطية الكبيرة هي مصدر الربح المحتمل، بالإضافة إلى المخزون الكبير من الأسلحة المتبقية بعد سقوط نظام القذافي التي يمكن لداعش استعمالها في تسليح نفسه وبيع بعضها إلى المنظمات الإرهابية الصديقة في المنطقة.⁽¹²⁾

وعلى العموم، فإن منطقة شمال إفريقيا تشكل موقعا استراتيجيا بالنسبة لتنظيم الدولة الإسلامية، فمن حيث الشمال فهي بوابة أوروبا، ومن الجنوب فهي بوابة لإفريقيا ككل، ومن حيث الشرق أي من جهة جمهورية مصر العربية فهي منفذ إلى منطقة الخليج والشرق الأوسط، بالإضافة إلى المؤهلات الاقتصادية التي تتمتع بها هذه المنطقة، فكل هذه المميزات جعلت منطقة شمال إفريقيا محل أنظار تنظيم الدولة الإسلامية، ومما زاد من طموحاته في التواجد في المنطقة تلك الظروف الأمنية والسياسية الصعبة التي تمر بها، وهذا ما سنحاول توضيحه في الجزئية الأخيرة من هذا المحور.

2- العوامل المتعلقة بالوضعية السياسية والأمنية في المنطقة:

لقد أدت احتجاجات الربيع العربي في عام 2011 التي اجتاحت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى إعادة تشكيل البيئة السياسية والأمنية في المنطقة بشكل جذري، حيث أدت هذه الاحتجاجات إلى سقوط

أعرق الأنظمة السياسية التي كانت قائمة منذ فترة طويلة في مصر وتونس وليبيا وذلك في غضون أسابيع قليلة فقط،⁽¹³⁾ حيث أدى هذا السقوط إلى خلق نوع من التنافس بين التيارات الإسلامية بمختلف توجهاتها المعتدلة والمتشددة وبين التيارات العلمانية، خاصة تلك التي كانت متحكمة في الأنظمة السابقة، وفي الكثير من الأحيان وصل هذا التنافس إلى حد المواجهات المسلحة بين هذين التيارين المختلفين خاصة في دولة ليبيا وهو ما يعرف بمعركة الكرامة التي شنها اللواء "خليفة حفتر" ضد الإسلاميين بمختلف توجهاتهم، كما شهدت مصر نفس الصراع بين حركة الإخوان المسلمين والحركات العلمانية الأخرى، واستطاعت تونس فقط احتواء هذا الصراع عن طريق اتفاق سياسي جمع بين كل شرائح وتوجهات المجتمع التونسي، ولكن هذا لم يمنع الجماعات الإرهابية من مهاجمة تونس.

وفي ظل الظروف السياسية والأمنية السابقة الذكر خاصة في دولتا ليبيا ومصر، استطاعت الجماعات الإرهابية أن توجد لها موطأ قدم في شمال إفريقيا وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال تبيان صعود الجماعات الإرهابية المتطرفة في شمال إفريقيا بعد ثورات الربيع العربي.

أ- ليبيا بعد القذافي وصعود تنظيم الدولة الإسلامية:

بعد سقوط نظام القذافي بدت الأطراف الليبية متفقة على المضي قدماً في بناء الدولة الليبية، حيث أجرت السلطات الانتقالية انتخابات ناجحة في منتصف عام 2012، حيث تمخض عن هذه الانتخابات برلماناً كان يمثل بشكل عام كل التيارات الاجتماعية والسياسية الرئيسية في ليبيا، حيث عملت الفصائل الرئيسية في هذا البرلمان الانتقالي بشكل جيد إلى حد ما معاً من 2012 إلى 2013، و توصلت إلى تشكيل حكومة الائتلاف واستئناف صادرات النفط بسرعة، غير أن هذا التقدم لم يكن قادراً على التغلب على الانقسامات الإقليمية العميقة التي زادت من حدة الصراع الداخلي، كما أدى فشل الحكومة الليبية على حل مختلف الميليشيات الثورية والجماعات المسلحة التي ظهرت خلال وبعد انتفاضة 2011 إلى جعلها حكومة ضعيفة تعتمد إلى حد كبير على هذه الميليشيات من أجل الأمن الداخلي، مما عزز هيكل أمنياً هجيناً لا يمكن الدفاع عنه.⁽¹⁴⁾

وفي ظل هذا الوضع الأمني المختلط، استغلت الشبكات الجهادية الجديدة والمتجددة هذه البيئة لترسيخ نفسها في بنغازي ودرنة وجنوب ليبيا، وفي الوقت نفسه، أدى تعثر الائتلاف الحاكم الذي قاد عملية الانتقال في أواخر عام 2013 وأوائل عام 2014، إلى زيادة تعقيد هذا الوضع الأمني وذلك بعد أن لجأت مختلف

الفصائل السياسية إلى "الخيار العسكري"، الذي من أهم مظاهره تلك المعركة التي أطلقها اللواء "خليفة حفتر" أي عملية الكرامة في بنغازي التي كانت تهدف إلى القضاء على الفصائل الإسلامية في ليبيا، بدءاً من بنغازي، حيث استهدفت هذه المعركة الجماعات الجهادية والإسلاميين المعتدلين الذين قد يشاركون في النظام السياسي من دون أي تمييز، والتي تم الرد عليها بما يسمى بعملية الفجر، وفي خضم المعارك الجارية بين الكرامة والفجر، قام تنظيم الدولة الإسلامية بتصنيع مجال نفوذ صغير وتوزع بشكل غير عادي في أجزاء من ليبيا. (15)

ب- مصر بعد مبارك ومرسي وصعود تنظيم الدولة الإسلامية:

في مصر استطاع الإسلاميون ركوب موجة الاحتجاجات التي اجتاحت البلاد في 25 يناير 2011، حيث أيدت جماعة الإخوان المسلمين هذه الاحتجاجات، والتي في أعقابها استطاعت جماعة حزب الحرية والعدالة التابعة لجماعة الإخوان المسلمين أن تصل إلى رئاسة مصر في 30 جوان 2012 بمرشحها "محمد مرسي"، ولكن سرعان ما تأكلت كل هذه المكاسب منذ ذلك الحين بسبب الانقلاب العسكري والشعبي بعد عام من ذلك، وتعديل الدستور المصري الذي بات يحظر إنشاء أحزاب سياسية ذات طابع ديني (16)

وبعد الانقلاب الذي أطاح بـ "محمد مرسي" تم تصويب عبد الفتاح السيسي، -الذي كان وزيراً للدفاع في عهد الرئيس المخلوع- رئيساً سادساً لمصر، حيث أعلنت حكومة ما بعد مرسي أن الإخوان غير قانونيين، وألقي القبض على الآلاف من المنشقين المصريين وسجنوا، وكثير منهم دون توجيه اتهامات إليهم، في حين أن التكتيكات القمعية للنظام كانت فعالة عموماً في القضاء على المعارضة السياسية، فإن العديد من المراقبين يخشون من أن تسهم هذه الإجراءات في الاستقطاب ونمو التطرف على المدى الطويل وبالتالي عودة الفكر الجهادي إلى مصر، وهذا ما حصل بالفعل حيث شهد النشاط الجهادي نمواً كبيراً في مصر، وعلى الرغم من أن الظروف اللازمة لنمو الجهادية في سيناء كانت موجودة في بداية الربيع العربي، إلا أن الانقلاب الذي أطاح بمرسي سنة 2013، جعل النشاط الجهادي الذي قد تم بناؤه في شبه جزيرة سيناء لسنوات، أكثر خطورة حيث ازداد قوة ووحشية حيث ظهرت جماعة أنصار بيت المقدس (ABM) التي أعلنت في نهاية المطاف ولاءها للدولة الإسلامية في نوفمبر 2014، باعتبارها واحدة من أقوى الجماعات المسلحة في سيناء حيث نفذت هذه المجموعة عدداً كبيراً من الهجمات الإرهابية في فترة قصيرة (17)

وهكذا أدت ثورات الربيع العربي إلى زعزعة أمن واستقرار منطقة شمال إفريقيا، وأعدت الصراع بين التيارات الإسلامية والتيارات القومية أو تلك التي تنعت بالعلمانية إلى الواجهة، ولم ينحصر هذا الصراع على

المستوى السياسي فقط بل تعدها ليصل إلى حد المواجهة العسكرية بين الطرفين، وعمل كل طرف على إقصاء الطرف الآخر بشتى الوسائل كما حدث في مصر بين قوات النظام الجديد وحركة الإخوان المسلمين، أو كما حدث في ليبيا بعد عملية الكرامة التي أطلقها اللواء "خليفة حفتر" ضد الإسلاميين بمختلف توجهاتهم، وشكلت تونس الاستثناء وذلك بعد التوصل إلى اتفاق سياسي بين التيار الإسلامي والتيار العلماني وهو ما أعطى نوعاً من الاستقرار السياسي والأمني. وكخلاصة لهذه الجزئية يمكننا القول أن ثورات الربيع العربي وما تبعها من انفلات أمني، شكلت بيئة خصبة لنمو تنظيم الدولة الإسلامية في شمال إفريقيا وزيادة تهديداته لها، وهذا ما سنحاول تبيانه في المحور التالي من المداخلة.

المحور الثالث: التهديدات الأمنية لتنظيم داعش على منطقة شمال إفريقيا:

1- ليبيا نقطة انطلاق نحو بلدان شمال إفريقيا:

لم يعتبر تنظيم الدولة الإسلامية ليبيا هدفاً في حد ذاته، بل اعتبرها دولة ذات عمق استراتيجي تمكن التنظيم من التوسع في شمال إفريقيا كمرحلة أولى ثم الانطلاق نحو الجهات الإفريقية الأخرى، وفي الأخير التوجه نحو أوروبا، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذه الجزئية مبينين أهداف تنظيم الدولة الإسلامية من اختيار ليبيا.

في أكتوبر 2014 أعلن "أبو بكر البغدادي" توسع الخلافة خارج سوريا والعراق، وعلى هذا الأساس أسس تنظيم الدولة الإسلامية فرعاً جديداً له في ليبيا تحت اسم "محافظة درنة"، وبعد شهر من ضم درنة إلى الحدود الجغرافية لدولة الخلافة، نشر البغدادي قائمة رسمية بجميع محافظات الدولة الإسلامية الجديدة وقسم منطقة شمال إفريقيا إلى ثلاث مقاطعات وهي: درنة وسيناء ومقاطعة الجزائر. وفي عامي 2015 و 2016، حثت تنظيم الدولة الإسلامية المقاتلين الأجانب المحتملين على اختيار ليبيا على سوريا والعراق إذا كانت لديهم طموحات بالانتماء إلى داعش، واتساقاً مع المشاكل المتزايدة التي تواجهها مع الحفاظ على أراضيها في سوريا والعراق، اعتبر تنظيم الدولة الإسلامية ليبيا منذ وقت طويل جبهة جديدة محتملة يمكن أن تستغل فيها الوضع السياسي الهش وتثبت نفسها بالقرب من حدود أوروبا.⁽¹⁸⁾

بعد فترة وجيزة من إعلان الخلافة في صيف عام 2014، أعلنت مجموعة ميليشيات شبابية في درنة الولاء للبغدادي، وفي أكتوبر من نفس السنة، أرسلت قيادة تنظيم "داعش" "أبو نبيل الأنباري" العراقي إلى ليبيا لإضفاء الطابع الرسمي على ضم المدينة إلى الخلافة، وكان أبو نبيل من المقاتلين ذوي الخبرة، الذين كانوا تحت راية تنظيم القاعدة في العراق منذ عام 2004، وكان إنشاء مقاطعة درنة بالتالي قراراً اتخذ على أعلى

مستوى من داعش، ومع ذلك، وعلى الرغم من أن ليبيا أعطيت أولوية عليا، فإن مجموعة داعش المحلية - التي أعيدها فرع العراق من داعش - لم تنجح في كسب دعم السكان المحليين في درنة، ففي يونيو 2015، أدى اشتباك مع مجموعة محلية لها روابط مع القاعدة إلى إزاحة تنظيم الدولة الإسلامية من المدينة. كما واجهت الدولة الإسلامية صعوبات مختلفة في مدينتي بنغازي وصبراتة، ففي شرق بنغازي واجه التنظيم مقاومة عسكرية من حكومة طبرق على شكل اعتداء من قبل قوات الجنرال حفتر التي كانت في طريقها لمحاربة مختلف الميليشيات الإسلامية في شرق ليبيا. (19)

حتى ديسمبر 2016 الوجود الأساسي في ليبيا هو في "مقاطعة سرت" - وهي منطقة ساحلية كانت سابقا معقل "معمر القذافي"، ففي سرت، ومن المفارقات أن الميليشيات التابعة لتنظيم القاعدة، أنصار الشريعة، مهدت الطريق لاحتلال تنظيم الدولة الإسلامية للمدينة، وعلى النقيض من الوضع في درنة، حيث دخل تنظيم الدولة الإسلامية في صراع مع الميليشيات المحلية، نجد أن تنظيم الدولة الإسلامية استطاع السيطرة على المدينة بعد إعلان أنصار الشريعة ولأنهم للبيدادي، وفي الفترة الممتدة من فبراير إلى ماي 2015، نجح تنظيم الدولة الإسلامية في الاستيلاء على جميع المؤسسات الهامة في المدينة: الإذاعة والتلفزيون ومركز الهجرة والجامعة، وما إلى ذلك. وأعطت مدينة سرت لتنظيم "داعش" العديد من المزايا حيث زودت المحافظة داعش بعمق استراتيجي فيما يتعلق بسوريا والعراق وإمكانية الانتقال إلى ليبيا، وبالإضافة إلى ذلك، استمد تنظيم داعش ميزة من الوجود في منطقة ليست قريبة فقط من حقول النفط الليبية ولكن أيضا إلى حدود أوروبا. (20)

بلغ عدد المقاتلين في ليبيا حوالي 4000 إلى 5000 مقاتل بعضهم من ليبيا وآخرين من دول عربية وإفريقية، كما تدعم بعض الميليشيات تنظيم داعش أبرزها أنصار الشريعة السلفيين. كما قام تنظيم الدولة الإسلامية ببناء بنية تحتية عسكرية في "سرت" تشمل معسكرات تمكن داعش من السيطرة على الآخرين، وإقامة فروع له في الدول المجاورة. (21)

يكن الهدف الأساس لتواجد تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا، هو تحويل هذه الأخيرة إلى نقطة انطلاق للإرهاب وتخريب بقية شمال إفريقيا، وبلدان جنوب الصحراء وجنوب أوروبا (22)

وعلى الرغم من أن التنظيم اعتبر ليبيا كنقطة انطلاق نحو جهات أخرى، إلا أن تواجده في ليبيا فرض عليها الكثير من التحديات نجملها في النقاط التالية:

من الناحية السياسية يعمل التنظيم الإرهابي إلى إشغال العملية السياسية في ليبيا، لأن أي توفيق سياسي بين الحكومتين المتنازعتين إنما هو نهاية لداesh في ليبيا.

من الناحية الأمنية يستهدف التنظيم زيادة قدراته العسكرية وذلك بالقيام بعمليات التوظيف الخارجي للمقاتلين مما يعطيه القدرة على السيطرة على المناطق المتواجدة فيها والتوسع نحو مناطق أخرى وهذا ما يعني المزيد من الانفلات والفوضى الأمنية.

من الناحية الاقتصادية نجد أن قرب تنظيم داesh من آبار النفط في سرت إنما هو تهديد مباشر للاقتصاد الليبي الذي يعتمد بنسبة كبيرة على صادرات النفط.

من الناحية المجتمعية فالتنظيم يعمل على زيادة الشرخ الاجتماعي الذي أعقب سقوط القذافي وذلك من أن مدينة سرت احتضنت تنظيم الدولة الإسلامية لأنها كانت في السابق معقلا للقذافي وتعرضت للتمييز والإقصاء بعده وهذا ما سهل على التنظيم التواجد فيها.

2- تونس أولى أهداف داesh بعد ليبيا:

على الرغم من فشل تنظيم الدولة الإسلامية في الاستيلاء على الأراضي وإقامة جبهة قتال قوية في تونس، إلا أنها استطاعت أن تجذب إلى صفوفها العديد من التونسيين في العراق وسوريا، ويرجع ذلك نسبيا إلى الحملة التي شنتها الحكومة التونسية على الجهاديين التونسيين، حتى على أولئك الذين ليس لهم ولاء لأي جهة محددة مثل جماعة أنصار الشريعة في تونس، التي تم تصنيفها على أنها جماعة إرهابية.⁽²³⁾، وقدّر تقرير للأمم المتحدة صدر في عام 2015 أن حوالي 5500 تونسي ينتمون إلى تنظيم الدولة الإسلامية، وأن حوالي 1000-1500 منهم موجودون في ليبيا، ومن السهل نسبيا على التونسيين عبور الحدود إلى ليبيا، حيث يمكن أن يكونوا مع جماعات داesh ويحصلون على التدريب.⁽²⁴⁾

يهدف تنظيم الدولة الإسلامية إلى تخريب النظام التونسي وإنشاء فرع هناك، ونبع تركيزه على تونس من ضعف النظام التونسي، ومن قرب محافظة طرابلس من تونس، بالإضافة إلى وجود جهاديين هناك، كما يعتبر داesh أن زعزعة النظام التونسي لها أهمية رمزية كبيرة.⁽²⁵⁾

وتنفيذا لمخططاته الإجرامية في تونس، قام تنظيم الدولة الإسلامية بشن هجمتان مهمتان له في تونس، حيث استهدفت الهجمة الأولى الفرنسيين في مارس 2015، حيث قام عنصرين من تنظيم داesh بمهاجمة

السياح خارج متحف باردو في تونس، مما أسفر عن مقتل ما لا يقل عن 22 شخصا من جنسيات مختلفة، وقد دُرب المهاجم وفقا للحكومة التونسية، مع فرع داعش في ليبيا، مما يؤكد التهديد الذي بات يشكله داعش في ليبيا على الرعايا الغربيين داخل تونس، وبعد ثلاثة أشهر من هذه الهجمة، قام أحد عناصر داعش باستخدام بندقة آلية، وذلك بقتل 35 سائحا معظمهم من البريطانيين، وذلك في منتجع شاطئ فندق القنطاوي شمال مدينة سوسة.(26)

ومع ذلك، فإن أهم هذه الهجمات وقعت في أوائل عام 2016 عندما حاول مقاتلو تنظيم الدولة الإسلامية التونسيون الذين يعملون من قاعدة في ليبيا ليس فقط القيام بهجوم إرهابي، بل حاولوا أيضا الاستيلاء على بلدة بن غردان الحدودية التونسية. وفي مارس، دخل ما يصل إلى 100 مقاتل من تنظيم الدولة الإسلامية من بلدة صبراتة الليبية، التي كانت قبل وقت قصير تستهدف من طرف الطائرات المقاتلة الأمريكية، تونس وهاجموا الجيش والشرطة التونسيين في بن غردان وحاولوا الاستيلاء على البلدة من خلال التحريض على التمرد الذي انتهى بقتل نحو 50 مقاتلا من داعش و 20 جنديا تونسيا.(27)

وعلى الرغم من أن هذه الهجمات هي هجمات غير متكررة، إلا أنها أعطت اهتماما كبيرا للمجموعة الإرهابية(28) كما أن هذه الهجمات الإرهابية نجحت في أكثر من مرة في إلحاق الضرر بالصناعة السياحية التونسية التي تعد من أهم مصادر الدخل في البلاد.(29)

ويمكن تلخيص أهداف تنظيم الدولة الإسلامية في تونس في هدفين:

- تهديد الاستقرار السياسي وذلك بضرب التوافق الحاصل بين التيارات العلمانية والإسلامية منذ سنة 2014، وبالتالي إدخال البلاد في حالة من الفوضى الأمنية.

- ضرب السياحة التونسية، وهذا ما سيزيد من الصعوبات الاقتصادية التي تمر بها تونس، وبالتالي تحريك الشباب لخلق الفوضى في البلاد من جهة، وسهولة توظيف الشباب في صفوف هذا التنظيم الإرهابي خاصة في تلك المناطق الحدودية التي تعاني ضعفا كبيرا في العملية التنموية.

3- تهديدات داعش للجزائر:

في سبتمبر 2014، أسس تنظيم داعش فصيلاً تحت اسم "جند الخلافة في الجزائر" التي سميت في ما بعد مقاطعة الجزائر"، وبعد أسبوع من إعلان الولاء للبغدادي قام الفصيل باختطاف مواطن فرنسي وقطع رأسه، وعلى الغالب تتكون المجموعة من عدد قليل من المقاتلين الذي ضلوا لقرابة العامين في حالة من عدم

النشاط، إلى أن جاءت سنة 2017، حيث أطلقت المجموعة في 02 مارس هجوما انتحاريا استهدف مركزاً للشرطة في منطقة القنطرة بولاية قسنطينة، وعلى الرغم من ذلك، إلا أن الفصيل ما يزال في حالة هشّة ويفتقر إلى الدعم التنظيمي والبرمجي.⁽³⁰⁾ ويرجع هذا الضعف إلى الدور الذي قامت به السلطات الأمنية الجزائرية، حيث استطاعت تفكيك شبكات تجنيد داعش في الجزائر قبل أن تتمكن المجموعة من تضمين نفسها محليا، وكانت عملية توسع داعش غير ناجحة إلى حد كبير.⁽³¹⁾

وبعد مقتل الرعية الفرنسية في الجزائر الذي يعتبر خطأ كبيراً من طرف جند الخلافة، قامت قوات الأمن الجزائرية بإطلاق حملة مطاردة كبيرة ضد تنظيم داعش في البلاد، انتهت بمقتل أمير الجماعة "قوري" في ديسمبر 2014، كما قامت قوات الأمن في ماي 2015 بشن عملية شاملة ضد هذا التنظيم تكلفت بمقتل 25 مقاتلاً من بينهم الأمير الجديد للمجموعة، وأربعة من كبار القادة الآخرين، كما وجهت قوات الأمن الجزائرية في صيف 2016 ضربة قوية أخرى ضد جند الخلافة في ولاية والبويرة وما جاورها، وفي منتصف جوان 2016 وبعد عملية تمشيط دامت لأسابيع أعلنت السلطات الجزائرية تفكيكها بالكامل لتنظيم "جند الخلافة".⁽³²⁾

ومن بين التحديات البارزة التي تواجه انتشار التنظيم في الجزائر من جديد، هو أن التنظيم فشل في تجنيد الجزائريين في صفوفه، ووفقا لتقديرات حكومية وغير حكومية فإن من 170-200 جزائري فقط انضموا إلى الجهاديين في سوريا والعراق وهو عدد صغير مقارنة من عدد المقاتلين الأجانب الذين جاءوا من جيران الجزائر، وهذا ما جعل التنظيم منتهيا في الجزائر من الناحية الإستراتيجية، كما أن التدابير الأمنية التي اتخذتها الجزائر على حدودها، تجعل من تسلل المقاتلين من ليبيا إلى الجزائر احتمالا متوسطا وغير وارد.⁽³³⁾

4- تنظيم الدولة الإسلامية في مصر:

في نوفمبر 2014، أعلنت جماعة أنصار بيت المقدس ولاءها لتنظيم الدولة الإسلامية، وأعلنت سيناء ولاية من ولايات الخلافة، ومنذ ذلك التاريخ، تغيرت تكتيكات الجماعة وتوسعت معها أهدافها، فمن الناحية التكتيكية، نجد أنه في أبريل من سنة 2015 قتلت الجماعة نحو 30 من رجال الأمن والمدنيين، وفي نفس الشهر، هاجم مقاتلو الجماعة نقطتي تفتيش عسكرية بسيارات ملغمة، تلتها هجمات مسلحة، وعلى الرغم من مقتل 15 من المهاجمين من قبل رجال الأمن المصري، إلا أن هذا الحادث أبان عن إرادة ولاية سيناء في البقاء والقتل، بدل استعمال تكتيك الكر والفر الذي كانت تعتمد عليه جماعة أنصار بيت المقدس، وبعد عشرة أيام من الهجوم الأخير، فجر مقاتل آخر نفسه في مركز للشرطة بمنطقة العريش مما أسفر عن مقتل ثمانية من

رجال الشرطة وجرح 45 آخرين، وجاء تفجير العريش بعد ساعات من هجومين استهدفا ناقلة وقود وسيارة مدرعة قتلت ستة شرطييين آخرين، حيث أظهرت هذه الهجمات تقدماً مستمراً في قدرات المقاتلين ومهارات القتال في منطقة سيناء.⁽³⁴⁾

وفي صباح 01 جويلية 2015، استهدف مقاتلو ولاية سيناء في وقت واحد، حوالي خمسة عشر نقطة تفتيش أمنية مع التركيز على مدينة "الشيخ زويد"، وشن الهجوم عن طريق عبوات ناسفة، قنابل، آر بي جي ومنظومات الدفاع الجوي المحمولة، وقام الإرهابيون بحصار أجزاء من المدينة لأكثر من سبع ساعات، وشكلت هذه العملية الإرهابية نقلة نوعية سواءً من حيث عدد ومدّة الهجمات أو من حيث القدرة على تجاوز الحواجز العسكرية، والسيطرة على مدينة يزيد عدد سكانها عن 60 ألف نسمة. أسفرت هذه الهجمات عن مقتل 17 جندياً كحصيلة رسمية، بينما ادعت ولاية سيناء أنها قتلت ما يزيد عن 100 جندي⁽³⁵⁾

وبغض النظر عن عدد القتلى والجرحى، إلا أن تغيير تكتيك الجماعة الإرهابية في سيناء، بات يشكل خطراً كبيراً ليس على أمن سيناء فقط، بل على أمن مصر واقتصادها عامة، وهذا من خلال توسيع الجماعة لأهدافها خارج منطقة سيناء، وهذا ما سنحاول تبياناه في الفقرة التالية.

بالإضافة إلى تزايد حجم وتعقيد هجماتها، فإن ولاية سيناء قامت أيضاً بتوسيع أهدافها، حيث قامت على سبيل المثال لا الحصر في 16 ماي 2015 بمهاجمة حافلة مليئة بالقضاة المصريين في منطقة العريش، واعتبرت القضاء المصري هدفاً مشروعاً لها، وهذا بعد أن كان رجال الأمن هدفها الأساسي.⁽³⁶⁾

وفي آخر هذه الجزئية، يمكننا القول أن مصر باتت تعاني من هجمات تنظيم الدولة الإسلامية، سواءً من الناحية الأمنية أو الاقتصادية، حيث زادت هجمات ولاية سيناء من تراجع السياحة المصرية المورد الأساسي للاقتصاد المصري.

المحور الرابع: سُبُل مواجهة تنظيم داعش في منطقة شمال إفريقيا

على الرغم من أن الحلول والإجراءات الأمنية التي اتخذتها دول شمال إفريقيا في مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية كانت ناجحة إلى حد ما خاصة في الجزائر والمغرب، إلا أن مواجهة داعش في منطقة تقطنها مايلي:

- إيجاد حل للأزمة الليبية، وذلك بتشجيع الحل السياسي القائم على المصالحة الوطنية، لأن الاستقرار في ليبيا سيجعل من استمرار داعش في المنطقة أمراً مستحيلاً.

- ضرورة التقليل من عمليات التدخل العسكري واللجوء إلى الحلول السلمية لحل النزاعات.
- ضرورة تحقيق التنمية خاصة في المناطق الحدودية، وذلك لمنع الشباب من الانخراط في صفوف الجماعات الإرهابية التي تقدم إغراءات مادية لهم.
- ضرورة فتح المجال أمام الإسلاميين المعتدلين وتوفير لهم الشروط الملائمة للمشاركة في الحياة السياسية.
- ضرورة التزام كل دولة بواجباتها الوطنية وتهيئة الظروف لمواطنيها لمنعهم من الانسياق وراء الجماعات الإرهابية.
- تعزيز حماية حقوق الإنسان وإرساء دولة الحق والقانون وتطبيق مبادئ النظام الديمقراطي لتفادي العنف المؤدي إلى الإرهاب.
- تعزيز الرقابة على وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي لمنع استعمالها في أغراض إرهابية، مع احترام مبدأ الخصوصية.
- ضرورة إيلاء ظاهرة المقاتلين الأجانب الأهمية القصوى وتفعيل الإجراءات القانونية لمحاربتها.
- ضرورة تجفيف منابع الفكرية للإرهاب وذلك بزرع الفكر الوسطي داخل الفئات الاجتماعية وخاصة داخل فئة الشباب لتحسينهم وتفادي وقوعهم في شرك التطرف المؤدي للإرهاب.
- ضرورة بعث تعاون إقليمي حقيقي على جميع المستويات من أجل التصدي للإرهاب، سواءً على المستوى الثنائي، أو المتعدد الأطراف، مع ضرورة بعث تعاون مع الدول الأوروبية والدول الأخرى على غرار الولايات المتحدة الأمريكية.

الخاتمة:

في آخر هذه المداخلة، يمكننا القول أن دول شمال إفريقيا نجحت إلى حد بعيد في محاربة تنظيم الدولة الإسلامية، إلا أن هذا استمرار هذا النجاح يقتضي تضافر جهود جميع الدول من أجل ضمان أمن واستقرار المنطقة، وذلك من خلال إيجاد حل نهائي للأزمة الليبية بعيدا عن الحسابات الضيقة لكل دولة، ومن خلال بعث تعاون إقليمي حقيقي سواءً على المستوى الأمني أو المستويات الأخرى خاصة المستوى الاقتصادي منها، بالإضافة إلى تبني مقاربة شاملة تكون بمثابة الحصن المنيع الذي يحمي شباب منطقة شمال إفريقيا من التطرف، ويمنعهم من الالتحاق بالجماعات الإرهابية وعلى رأسها تنظيم الدولة الإسلامية.

- (1) luna Shamieh, Szenzes Zoltàn, " the rise of islamic state of Iraq and Syria(ISIS), AARMS, vol 14, n°04(2015), p.366.
- (2) Lars Erslev Andersen, " the mole and the mallet: islamic state and al-Qaeda in the thirty years war in the middle east", connections: the Quarterly journal, Vol 16, N° 01; Winter 2017, p p. 13-14.
- (3) luna Shamieh, Szenzes Zoltàn, op cit, p 367.
- (4) Lars Erslev Andersen, op cit, p 14.
- (5) Robin Wright and Others, "the jihadi theart, ISIS, al-Qaeda and beyond", United State institute of peace making peace possible/ Wilson Center, December 2016/ January 2017, p.11.
- (6) Special Report the islamic state, Clarion Project, May 10, 2015; p.13.
- (7) Cole Bunzel, " from paper state to caliphate the ideology of islamic state, the Brooking Project on US relatio,s with the islamic World, analysis paper, n°19, March 2015, p.09.
- (8) luna Shamieh, Szenzes Zoltàn, op cit, p 374
- (9) ISIS: portrait of a jihadi terrorist organization, the meir amit intelligence and terrorism information center, November 2014, p.03.
- (10) Manni Crone," islamic state incursion into north africa and sahel: A threat to Al-Qaeda", connections: the Quarterly journal, Vol 16, N° 01; Winter 2017, p. 64.
- (11) ISIS in Libya: major regional and international threat, the meir amit intelligence and terrorism information center, January 2016, p p.15-18.
- (12) Ibid, p.01.
- (13) Daveed Gartenstein-Ross and Others, " the crisis in north africa implications for Europe and options for EU policymakers", Clingendael Report, April 2015, p.07.
- (14) Ibid, p.12.
- (15) Ibid, p.12.
- (16) The Arab Spring in egypt, Havard Divinity/School Religious Literacy Project, located in the following kink: <https://rlp.hds.harvard.edu/faq/arab-spring-egypt>
- (17) Daveed Gartenstein-Ross and Others, op cit, pp.19-20
- (18) Manni Crone, op cit, p.64.
- (19) Ibid, p.66.
- (20) Ibid, pp .66-67.

- (21) Ibid, p.67.
- (22) ISIS in Libya: major regional and international threat, op cit, p.01.
- (23) Laith Alkhouri, "Al-Qaida, ISIS? IN NORTH Africa a brief examination of the jihadi terrorist landscape", House visitors center, Washington DC, March 29, 2017, p.19.
- (24) Manni Crone, op cit, p.67.
- (25) ISIS in Libya: major regional and international threat, op cit, p.17.
- (26) Laith Alkhouri, op cit, p.19.
- (27) Manni Crone, op cit, p.68.
- (28) Laith Alkhouri, op cit, p.20.
- (29) Manni Crone, op cit, p.68.
- (30) Laith Alkhouri, op cit, p.19.
- (31) Daveed Gartenstein-Ross and others, "Islamic state 2021, possible future in North and West Africa", February 2017, p.23.
- (32) Ibid, p.p.23-24.
- (33) Ibid, p. 25.
- (34) Zack Gold, " international center for counter terrorism-the hague salafi jihadist violence in Egypt's North Sinai: from local insurgency to islamic state province, ICCT?researche paper, April 2016, p.18.
- (35) Ibid, p.19.

